

الأبعاد الدلالية لظاهرة العدول عن المضمر إلى المظهر في كتاب (البرهان في علوم القرآن — للزركشي) دراسة: (نَحْوِيَّة — دَلَالِيَّة)

أستاذ النحو والصرف المشارك
جامعة غرب كردفان

د. فهمي الزين صالح أبو كساوي

أستاذ النحو والصرف المشارك - رئيس قسم
اللغة العربية وآدابها - كلية اللغة العربية
جامعة إفريقيا العالمية.

د. مطر عبد الله إسحق محمد الجزولي

المستخلص:

يقوم هذا البحث على محاولة تسليط الضوء حول ظاهرة من ظواهر النحو العربي ألا وهو: (العدول عن المضمر إلى المظهر في كتاب (البرهان في علوم القرآن — للزركشي) ، فيجئ هذا البحث إلى إبراز وجه من وجوه الإعجاز القرآني في جانب نظمه، واستعمال ألفاظه. فظاهرة العدول عن المضمر إلى المظهر، أو من صفة إلى أخرى في الاستخدام اللغوي شائعة في كتب التراث اللغوي انشغل بها العلماء قديماً وحديثاً، فمن غير شك أنَّ العدول عن المضمر إلى المظهر لم يكن مجرد مصادفة، ولم يأت من فراغ، ولا يخلو من فائدة أو غرض بلاغي. يهدف هذا البحث — إجلًا وتدقيقًا — إلى تحديد الدلالات والغايات؛ لهذه الظاهرة اتكالا على تصريحات النحاة، وإشارات البلاغيين والمفسرين، وتطبيقها في أحسن كتاب من كتب علوم القرآن ألا وهو (البرهان في علوم القرآن) - للزركشي (ت: 794هـ)). فقد توصل البحث إلى عدة نتائج من أهمها: أنَّ الخروج عن المألوف في الاستخدام اللغوي لم يكن أمرًا عفويًا في التعبير اللغوي بل تختبئ وراءه دلالات مقصودة وملسات فنية مقبولة، كما أنَّ العدول في التركيب اللغوي لم يكن أمرًا عفويًا، بل يلجأ إليه مستخدم اللغة لتحقيق أغراض مقصودة مثل التوكيد، والتخفيف، والمبالغة، والتعظيم، والتحقيق، وتجديد نشاط السامع، وكسر الرتابة عنه.

Abstract:

This research is based on an attempt to shed light on one of the phenomena of Arabic grammar, which is: (Reversing the implied to the apparent in the book (The Proof in the Sciences of the Qur'an - by Al-Zarkashi), and this research comes to highlighting one of the aspects of the Qur'anic miracle in the aspect of its systems, and the use of its words. The phenomenon of turning away from the implied to the outward, or from one adjective to another in linguistic usage

is common in the books of linguistic heritage, with which scholars have been preoccupied, ancient and modern. Rhetorical Purpose This research aims to clarify and scrutinize the indications and purposes of this phenomenon, depending on the statements of the grammarians and the references of the rhetoric. and interpreters, and its application in the best book of the sciences of the Qur'an, namely (The Proof in the Sciences of the Qur'an) by Al-Zarkashi (T.: 794 AH). Rather, intended connotations and acceptable artistic touches are hidden behind it, and reversal in the linguistic structure was not spontaneous. Rather, the user of the language resorts to it to achieve intended purposes such as emphasizing, mitigating, exaggerating, glorifying, degrading, renewing the listener's activity, and breaking the monotony about it.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله الهادين وصحبه الذين شادوا الدين وشرف وكرم بجهودهم المبين، وبعد:

فإن موضوع هذا البحث موسوم بـ (العدول عن المضمر إلى المظهر في كتاب (البرهان في علوم القرآن — للزركشي) لم يختلف العلماء اللغويون والنحويون والبلاغيون قديماً وحديثاً في أنَّ لكل نص لغوي غرضاً عاماً يسعى مستخدم اللغة إلى تحقيقه، وإذا كان الأصل في مستخدم اللغة أن يبني خطابه وفق أعراف اللغة وقواعدها القياسية؛ فإنَّ الحاجة البيانية — أحياناً — تملي عليه الخروج عن النمط المؤلف في نص الكلام، والانصراف عنه إلى تعبير آخر غير متوقع كأن يذكر ما حقه التأنيث، ويؤنث ما حقه التذكير، أو يلفت من ضمير الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب، أو يعبر عن المستقبل بلفظ الماضي، أو العكس، أو يخاطب الواحد بلفظ الجماعة، أو العكس، وإلى غير ذلك من صور العدول المتعددة، وهي ظواهر لها من الفُشو في الاستخراج اللغوي بحيث يُشكَّل ملمحاً أسلوبياً بارزاً يشدُّ الانتباه ويلفت الأنظار، ويدفع إلى التساؤلات الآتية: ما السر في العدول عن المضمر إلى المظهر؟ وما الدلالات اللغوية والمعنوية المختبئة وراء هذا العدول؟ وهل يجوز العدول عن الأصل إلى الفرع؟ وما رأي علماء أصول النحو في ذلك؟ وإلى غير ذلك من الأسئلة التي تثار حول هذه القضية، وهي قضية حمل البحث همها، واستهدف بيانها، وعمد إلى كشف لطائف أسرارها، وتنبع أهمية هذا البحث في أنَّ دراسة العدول عن المضمر إلى المظهر والوقوف على أسرارها يساعد في الكشف عن معانٍ إضافية في تراكيب اللغة التي لولا كسر السياق بعنصر لغوي غير متوقع لبقيت محجوبة عن الأنظار، وكما تنبع أهمية البحث في أنَّها تفتح آفاقاً جديدة لقراءة النصوص وتحليلها وفق مقتضيات الحال، والمقام ومؤثرات السياق.

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح أسباب العدول وبواعثه وأبعاده، وكما تهدف إلى إبراز أثر السياق في توجيه دلالة اللفظ، وبيان الحكمة في خروجه عن مقتضاه الظاهر؛ وكذلك الوقوف على الإشارات البلاغية والدلالات العقديّة والأسرار البيانية الكامنة والأبعاد الدلالية وراء هذه الظاهرة (العدول عن المضمر إلى المظهر) وفي سبيل تحقيق هذه الغاية انتهج الباحث المنهج الوصفي القائم على التحليل حيث يتم جمع مادة البحث من مظانها ثم عرضها وتحليلها وتطبيقها في النصوص القرآنية، ولأجل الخروج بفكرة واضحة، ولأجل الاستفادة، فقد اقتضت طبيعة البحث حسب المادة المدروسة أن يتألف هيكله من مقدمة وثلاثة محاور حيث خصص المحور الأول: عن مفهوم العدول في اللغة والاصطلاح (قديمًا وحديثًا)، وخصص المحور الثاني لبواعث العدول وغاياته وأهدافه، وأفرد المحور الثالث لظاهرة العدول عن المضمر إلى المظهر في كتاب (البرهان في علوم القرآن — للزركشي)

مفهوم العدول في اللغة والاصطلاح (قديمًا وحديثًا) أولاً: مفهوم العدول في اللغة:

إذا نظرنا أبواب المعاجم العربية قديمها وحديثها نجد كلمة (عدول) في مادة (ع، د، ل) التي لاتخرج عن معنيين أجملهما ابن فارس بقوله: «العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمضادّين:

أحدهما: يدلُّ على استواء، والآخر: يدلُّ على اعوجاج»⁽¹⁾.

فالأصل الأول: المساواة والاستواء، قال الخليل: «العدلان الحملان على الدابة من جانيه، وجمعه أعدل، وعدل أحدهما بالآخر في الاستواء، كي لا يترجح أحدهما صاحبه»⁽²⁾. والعدْل من النَّاس: المرضيُّ المستويُّ الطَّرِيقَةَ، يقال: هذا عدْلٌ، وهما عدْلٌ. وهم عُدُولٌ، وإنَّ فلاناً لعدْلٌ بينَ العدْل والعدُولَة، ومنه: العدْل في الحكم ضد الجور، الخ. ومما يجدر ذكره في هذا السياق أن مادة (ع، د، ل) — في جزرها العميق — وردت في القرآن الكريم في مواطن عديدة، بصور مختلفة، لمعان متعددة، حيث جاءت بصيغة الماضي لمعنى الاستواء والاعتدال⁽³⁾ في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسْوَكَ فَعَدَلَكَ﴾⁽⁴⁾ وبصيغة المضارع بمعنى إقامة العدل⁽⁵⁾ في قوله تعالى: ﴿وَأَمَرْتُ لِعَدْلِ بَيْنِكُمْ﴾⁽⁶⁾، وأيضاً بمعنى الفداء⁽⁷⁾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدِلْ كُلَّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾⁽⁸⁾، وبمعنى المساواة بين اثنين⁽⁹⁾ في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾⁽¹⁰⁾. ووردت بصيغة الأمر لإقامة العدل — أيضاً — في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾⁽¹¹⁾ وعلى هذا يكون العدول بمعنى: الميل والتنجي، والرجوع، والمساواة، والحسن، والاستقامة، والاستواء، وضد الظلم. وهو في أدائه هذه المعاني من ألفاظ المشترك اللفظي. كما يكون بمعنى الاعوجاج، وهو يقابل الاستقامة، لكن الذي يعيننا من هذين الأصلين هو الأصل الثاني الذي يدل على الاعوجاج والانعراج، أي الميل والتحول. قال الخليل: «والعدل أن تعدل الشيء عن وجهه، فتميله»، وقال الخليل: «وعدلت الدابة إلى كذا، أي: عطفتها فانعدل، والانعдал: الانعراج»⁽¹²⁾. وجاء في المحكم: «عدل عن الشيء يعدل عدلاً

وعدولاً: حاد، وعدل إليه عدولاً: رجع ... وعدل الطريق: مال»⁽¹³⁾، فيتضح أن العدول مصدر الفعل عدل وتعديتهب (عن) تقول: عدل عن الحق عدولاً إذا جار أي: ما لعنه⁽¹⁴⁾ إلا أن القرآن لم يوظف مصطلح العدول بمعنى الانصراف عن الشيء وتركه إلى غيره، وهو المعنى الذي عليه مدار هذه الدراسة.

ثانياً: مفهوم العدول في اصطلاح النحاة:

من خلال النظر في معاني العدول في اللغة، يتضح أن ما يتعلق بموضوع البحث من تلك المعاني هو: الميل، والرجوع، والمساواة، والحسن، والاستقامة، والاستواء وذلك لأن العدول النحوي المقصود في هذه الدراسة هو الميل عن القاعدة رجوعاً إلى المعنى المقصود الذي لا يتحقق بمراعاتها؛ ليستقيم المعنى بذلك العدول، ويستوي على أكمل وجه وأحسنه، بعد أن تحققت المساواة بين التركيب ومعناه المقصود موطن العدو عن سياقه، فالسياق هو إحدى القرائن الدالة على المعنى، ولا شك في أن له دوراً بارزاً في العدول، فقد يؤدي إليه، أو يحول دونه، وهذا الأمر يدعو إلى دراسة للنحو لاتنفاك عن دلالة السياق ومعناه، وذلك بدراسة التراكيب النحوية ضمن سياقاتها النصية، بمايسمنحوالنصلاقاعدة، المنفصلة عن النص، وسياقها النص؛ أما إذا رجعنا إلى التعريف الاصطلاحي للعدول في كتب القدماء فلن نجد له تعريفاً محدداً وإن كانوا يستعملون هذه الكلمة أو ما يشتق منها مثل: عدَل، ومعدُول في مواضع كثيرة من كتبهم.

فمن مواضع استعمالهم لما يشتق منها قول سيوبه مثلاً: «فحلاق معدول عن الحالقة... فهذا كله معدول عن وجهه وأصله.. كما عُدل: نظار وحذار وأشباههما عن حدّهن»⁽¹⁵⁾. وقول المبرد: «فأما سحر فإنهم عدول إذا أردت بهيوميكمعناللفواللام»⁽¹⁶⁾ حيث نلاحظ استعمالهم للكلمتي: (عُدل) و(معدول) وكلاهما مشتقان من المصدر (عدول). ومن مواضع استعمالهم الكلمة صراحة قول ابن جني: «باب في العدول عن الثقل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف»⁽¹⁷⁾. ومن مواضع استعمالهم الكلمة قول ابن الأثير: «إن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك»⁽¹⁸⁾.

حيث نلاحظ استعمالهم الكلمة (عدول) صراحة في المعنى الذي درج عليه علم اللغة الحديث هذه نماذج من استعمال القدماء لكلمة العدول أو ما اشتق منها، ويمكن أن نعرف العدول انطلاقاً من سياقات استعمالهم للكلمة بأنه: «كل ما ليس بمألوف ولا عادي مطابق للنموذج المعتاد»⁽¹⁹⁾ لذا فهو يعني برصد انحرافات الكلام عن نسقه المثالي المألوف ويسمى عند الأسلوبيين بـ (الانتهاك) أو (الانزياح) وذلك لأنهم نظروا إلى اللغة وفق مستويين:

الأول: مستواها المثالي في الأداء العادي.

والآخر: مستواها الإبداع الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها⁽²⁰⁾ إذ إن هناك دائماً انزياحات عن المعنى الأصلي للكلمات التي تستخدم، كما أن التركيب نفسه يميل إلى خرق القواعد المألوفة كما يؤكد ذلك جان كوهن⁽²¹⁾. وكما يُعرف العدول بأنه: الخروج أو الانحراف والميل من صياغة، أو تعبير إلى صياغة، أو تعبير آخر لغرض معين. وذكر الجرجاني حد العدول عند

النحاة في كتابه (التعريفات) في قوله: «العدل في اصطلاح النحويين خروج الاسم عن صيغته إلى صيغة أخرى»⁽²²⁾. ولم يختلف مفهوم العدول في هذا المضمار عند متأخري النحاة عما تعارف عليه المتقدمون، بل ترسموا خطاهم، وساروا على دربهم، ونسجوا على منوالهم، فالعدول عند العكبري هو: «أن يقام مقام بناء آخر من لفظه، فالمعدول عنه أصل المعدول»⁽²³⁾. وقريب منه قول ابن هشام الأنصاري: «العدل هو تحويل الاسم من حالة إلى حالة أخرى مع بقاء المعنى الأصلي»⁽²⁴⁾. والأصل الذي أشار إليه كل من العكبري وابن هشام في تعريفيهما هو المعنى الأول الذي تحمله الصيغة الصرفية للكلمة، فصيغة اسم الفاعل الدالة على من قام بالفعل هي الأصل وصيغ المبالغة معدولة عنها، ومحول منها إليها⁽²⁵⁾. وقد يراد بالأصل —أيضاً— القاعدة التي بنيت على الكثير الشائع في كلام العرب، الفاشي في الاستعمال، فالأصل في نسق الجملة العربية ألا يخبر بالماضي عن المستقبل، ولا يسند المذكر إلى المؤنث، ولا المؤنث إلى المذكر ولا يوصف المفرد بالجمع، وإلى غير ذلك من أشكال العدول؛ لأن المطابقة بين عناصر الجملة شرط في تأدية المعنى⁽²⁶⁾.

إذن مفهوم العدول النحوي المقصود في هذه الدراسة هو الميل عن القاعدة رجوعاً إلى المعنى المقصود الذي لا يتحقق بمراعاتها؛ ليستقيم المعنى بذلك العدول، ويستوي على أكمل وجه وأحسنه بعد أن تحققت المساواة بين التركيب ومعناه المقصود.

بواعث العدول ومقاصده وفوائده:

للعدول عن صيغة إلى أخرى، أو من أسلوب إلى آخر بواعث، ومقاصد، وفوائد، وأبعاد أكثر من أن تُعدَّ أو تحصى، وقد أجمع اللغويون والبلاغيون قديماً، وعلماء الأسلوبية حديثاً على أن العدول لا يكون إلا لغاية بيانية، أو فنية يستهدفها مستعمل اللغة؛ لأن الدراسة البيانية ترفض أن يكون هناك تغيير في نظم الكلام تستبدل فيه كلمة بأخرى لا تتبعه تغيير في المقاصد والأغراض. كما أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت لذلك⁽²⁷⁾؛ فالعدول ليس أمراً عفويّاً في التعبير اللغوي بل فيه من القصدية ما يوجب البحث في غاياته ومراميها، والواقع أن المتتبع لمواطن العدول في اللغة بشكل عام، وما ذكره المفسرون، وأهل اللغة لدى تناولهم هذا الدرس يشير إلى أن العدول بصوره المختلفة ينتهي إلى أبعاد وغايات ثلاثة: البعد المعنوي، والبعد الإيقاعي، والبعد التداولي.

أولاً:

البعد المعنوي:

هنالك غايات معنوية عديدة يصرف لها الكلام من صيغة إلى أخرى، أو من أسلوب إلى أسلوب، أهمها:

1. التخفيف: وهو أحد الأغراض التي تحققها تقنية العدول يقول الخضري: «وفائدته — أي: العدول — إما تخفيف اللفظ كما في (مَثْنَى وأُخْر)، أو تخفيفه مع تمحضه للعلمية كما في (عُمر وزفر) عن (عامر وزافر)⁽²⁸⁾، ولا يختلف اثنان دون ثالث في أن (مَثْنَى، وأُخر، وعمر) أخف نطقاً على اللسان وأكثرها سلاسة من (اثنين، وأخريات، وعامر).

2. التعظيم والتفخيم، أو التحقير والإهانة: وهما — أيضاً — من الغايات القصدية للعدول في بعض صورته، يدلنا على ذلك قول ابن الأثير في تعليقه للعدول عن صيغة المضارع إلى الأمر (وإنما يقصد إليه تعظيماً لحالٍ من أجري عليه فعل المستقبل، وتفخيماً لأمره، وبالضد فيمن أجري عليه فعل الأمر) ويمثل لهذه الصورة العدولية بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾⁽²⁹⁾، فيرى أنه إنما قال: ﴿أَشْهَدُ اللَّهَ ... وَاشْهَدُوا﴾؛ لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بهم، ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم، ولذلك عدل عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما⁽³⁰⁾.

3. المبالغة: قال الزمخشري في بيان علة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: «فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت: المبالغة».

4. تجديد نشاط السامع وإزالة السأم عنه: من الغايات السامية لتقنية العدول تجديد نشاط السامع وكسر الرتابة لدى المتلقي، وقد فطن الزمخشري إلى هذه الحقيقة منذ زمن مبكر، إذ يقول: «إن الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد»⁽³¹⁾ ويقول عن العدول في مكان آخر إنه: «فن من الكلام جزل فيه هزّ وتحريك من السامع وهكذا الافتتان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستنهش الأنفس للقبول»⁽³²⁾.

فالعدول بهذا المعنى يُعد منبهاً أسلوبياً يكسر أفق التوقع لدى المتلقي، ففي الوقت الذي فيه — أي المتلقي — منسجماً ذهنياً مع أسلوب معين أو نسق تعبيري (ما) بحيث يكون مهيباً لحدس مجريات الأحداث، وبناء نتائج متوقعة من وحي المقدمات التعبيرية إذ المبدع من خلال الانحراف بالأسلوب التعبيري المألوف، يفاجئ المتلقي بما لا يتوقعه، فتثير لديه تساؤلات عن دلالة هذا الانحراف، فيكون المبدع من خلال النمط التعبيري هياً الأسباب لاستثارة كوامن الإبداع لدى المتلقي الذي سيدفعه مقام الدهشة والانبهار إلى سبر أغوار هذه الظاهرة الفنية الفذة بحثاً عن الطاقات الدلالية، والقيم الجمالية المظروفة فيها⁽³³⁾.

ثانياً:

البعد الإيقاعي

تعد حاسة السمع عنصراً مهماً، وفاعلاً وحاسماً في تحديد الخصائص الصوتية للمفردات اللغوية، وهي المرجع الأوحى في تحديد ما في الكلمة من صفات الحسن أو القبح في جرسها الموسيقي، فالأذن التي تطرب لصوت البلبل، وتستحسنه، وترتاح لسماعه هي نفسها التي تشمئز من صوت الغراب، أو نهيق الحمار، ومن ثم كانت استمالة الأذن للإصغاء الجيد إحدى غايات العدول من صيغة إلى صيغة، أو من أسلوب إلى أسلوب كما أشار الزمخشري إلى ذلك.

ثالثاً :

البعد التداولي:

إن اعتبار حال المتلقي عند إنشاء الخطاب من أهم المرتكزات التي قامت عليها البلاغة العربية، وهو ما لخصته العبارة الشهيرة «لكل مقام مقال» فمراعاة المقامات المختلفة لا تسمح — دائماً — باستعمال الأصل اللغوي إذ «قد تقتضي مسايرة التعبير للحالة النفسية أن يخرج التركيب عن مقتضى الظاهر — كأن يذكر ما حقه التأنيث وبالعكس — وكأن يذكر مرة، ويؤنث مرة أخرى في السياق نفسه، أو كان يأتي بالتركيب على خلاف أصله»⁽³⁴⁾، ومما يؤثر في بناء الخطاب المكانة الاجتماعية لمن يوجه إليه الخطاب، كأن يخاطب الواحد بلفظ الجماعة على نحو مانجده في مخاطبة الملوك، والرؤساء وذوي المناصب الرفيعة، أو الرغبة في تشريف المخاطب، والرفع من شأنه على نحو مانجده في إضافة (عبد) العائد إلى الرسول (ﷺ) إلى ضمير الذات الإلهية في مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾⁽³⁵⁾، وهي إضافة تشريف كما نص على ذلك المفسرون⁽³⁶⁾، ومنه إرادة التحكم أو التودد في صيغ المبالغة وغير ذلك. فعليه نجد أن العدول كان محوراً رئيساً في الكثير من مباحث علم المعاني ومنهياً أسلوبياً في بنيتها لقيمتها التعبيرية ودقته في الأداء اللغوي، كما في: التذكير والتأنيث، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والذكر والحذف، والوصل والفصل والإيجاز والإطناب⁽³⁷⁾ حيث مثل «ذلك العدول الطاقة الإيحائية في الأسلوب»⁽³⁸⁾، كما يعد العدول من أهم المباحث النحوية في الكشف عن العملية الإبداعية في النصوص وذلك لكثرة اعتماد المبدعين عليه لغرض خلق دلالات جديدة وإثارة المتلقي، إذ يكسب العدول عن التذكير إلى

العدول عن المضمّر إلى المظهر في (البرهان في علوم القرآن — للزركشي):

وفي هذا المحور سأتناول نماذج من (العدول عن المضمّر إلى المظهر في كتاب (البرهان في علوم القرآن — للزركشي): ليبانسر العدول عن المضمّر إلى المظهر.

ولكن قبل الشروع في عرض النماذج للعدول عن المضمّر إلى المظهر. نود الوقوف يسيراً مع وضع الاسم الظاهر موضع الضمير، فأقول: إن أصل وضع الضمائر في اللغة إنما كان للاختصار، والتقليل من طول الكلام الذي يحصل بذكر الأسماء الظاهرة ابتداءً أو تكراراً. فيحصل الاكتفاء بأن يكتفى بالضمائر عن الأسماء الظاهرة، وبها يقصر طول الكلام، وبهذا صار للضمائر في الكلام مواضع يعتبر استعمالها فيها هو الأصل. ولكن قد تدعو دواعي بلاغية لوضع الأسماء الظاهرة في مواضع استعمال الضمائر، وتحمّل طول الكلام بهذه الأسماء الظاهرة، وبهذا دخل استعمال الاسم الظاهر موضع المضمّر ضمن طرائق الإطناب. قال الزركشي: «واعلم أن الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة وأصل المحدث عنه كذلك والأصل أنه إذا ذكر ثانياً أن يذكر مضمراً للاستغناء عنه بالظاهر السابق كما أن الأصل في الأسماء الإعراب وفي الأفعال البناء وإذا جرى المضارع مجرى الاسم أعرب»⁽³⁹⁾ البرهان في علوم القرآن 484/2 كقوله تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽⁴⁰⁾، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁴¹⁾، وقوله

تعالى: ﴿قَسَّبَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾⁽⁴²⁾، وللخروج على خلاف الأصل أسباب، ذكر منها: قصد التعظيم، وقصد الإهانة والتحقير، وزيادة التقدير، والاستلذاذ بذكره، وزيادة التقدير، وتعظيم الأمر، والتوصل بالظاهر إلى الوصف، والتنبيه على علة الحكم، وقصد تقوية داعية المأمور، وقصد العموم، وقصد الخصوص، ومراعاة التجنيس، وإزالة اللبس حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد، وأن يكون القصد تربية المهابة وإدخال الروعة في ضمير السامع بذكر الاسم المقتضى، وكونه أهم من الضمير، وكون ما يصلح للعود ولم يسق الكلام له⁽⁴³⁾، وغير ذلك من الفوائد الجليلة التي ذكرها الزركشي في وضع الاسم الظاهر موضع الضمير، وفي ما يلي نماذج من (العدول عن الاسم المضمر إلى الاسم المظهر في (البرهان في علوم القرآن — للزركشي):

النوع الأول:

العدول عن المضمر إلى المظهر لزيادة التقرير والتمكين:

وفي النصوص الآتية وُضع الاسم الظاهر موضع الضمير، لزيادة تقرير وتمكين ما استُخِذَ للدلالة عليه الاسم الظاهر بدل الضمير حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد:

1 — قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾⁽⁴⁴⁾.

الشاهد: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وَضَع الاسم الظاهر لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ في الآية الثانية موضع الضمير، وكان مقتضى الظاهر أن يكون التعبير: ﴿هُوَ الصَّمَدُ﴾ فما السر في ذلك؟

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وفي ﴿هُوَ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه ضميرٌ عائِدٌ على ما يفهم من السياق — هو ابتداء وهو اضممار الحديث أو الخبر أو الأمر⁽⁴⁵⁾ — فإنه يُرَوَى في الأسباب: أَنَّهُمْ قالوا لرسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم: صِفْ لَنَا رَبَّكَ وَأَنْسُبْهُ، وقيل: قالوا له: أَمِنْ نُحَاسٍ هُوَ أَمْ مِنْ حَدِيدٍ؟ فَتَرَكْتُ⁽⁴⁶⁾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، و﴿أَحَدٌ﴾ خبره. والجملة خبرُ الأولِ ﴿هُوَ﴾ تقديره . قل يا محمد الحديث الحق الله أحد⁽⁴⁷⁾، ويجوز أن يكون ﴿اللَّهُ﴾ بدلاً، و﴿أَحَدٌ﴾ الخبر. ويجوز أن يكون ﴿اللَّهُ﴾ خبراً أولاً، و﴿أَحَدٌ﴾ خبراً ثانياً. ويجوز أن يكون ﴿أَحَدٌ﴾ خبرَ مبتدأ محذوف، أي: هو أحد⁽⁴⁸⁾. والثاني: ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، لأنه موضعُ تعظيمٍ، و الجملة بعده ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو الشأن، خبره مفسرةٌ. كقولك: (هو زيد منطلق)، كأنه قيل: الشأن هذا، وهو أن الله واحد لا ثاني له⁽⁴⁹⁾. وفي الإتيان بضمير الشأن هنا: إشارة إلى فخامة مضمون الجملة مع ما في ذلك من زيادة التحقيق والتقرير؛ لأن الضمير يشير إلى شيء مبهم تترقبه النفس، فإذا جاء الكلام من بعده زال الإبهام، وتمكن الكلام من النفس فضل تمكن. وجيء بالخبر نكرة وهو لفظ ﴿أَحَدٌ﴾ لأن المقصود الإخبار عن الله تعالى بأنه واحد. ولو قيل: الله الأحد، لأفاد أنه لا واحد سواه، وليس هذا المعنى مقصوداً هنا، وإنما المقصود إثبات أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ونفى ما زعمه المشركون وغيرهم من أنه تعالى مركب من أصول مادية أو غير مادية، أو من أنه له شريك في ملكه⁽⁵⁰⁾. قال الزمخشري: «فإن قلت: ما محل ﴿هُوَ﴾؟ قلت: الرفع على الابتداء والخبر الجملة.

فإن قلت: فالجملة الواقعة خبراً لا بد فيها من راجع إلى المبتدأ، فأين الراجع؟ قلت: حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك: (زيد غلامك) في أنه هو المبتدأ في المعنى، وذلك أن قوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو الشأن الذي هو عبارة عنه، وليس كذلك (زيد أبوه منطلق) فإن زيداً والجملة يدلان على معنيين مختلفين، فلا بد مما يصل بينهما»⁽⁵¹⁾.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ابتداء وخبر، والأحسن في هذه الجملة أن تكون مستقلة بفائدة هذا الخبر⁽⁵²⁾، قال أبو حيان: «والأفصح أن تكون هذه جملاً مستقلة بالأخبار على سبيل الاستئناف، كما تقول: زيد العالم زيد الشجاع»، ويجوز أن يكون: ﴿الصَّمَدُ﴾ صفةً. والخبر في الجملة بعده⁽⁵³⁾. قال السمين: «وهو ضعيف، من حيث السياق، فإن السياق يقتضي الاستقلال بأخبار كل جملة»⁽⁵⁴⁾.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ كان مقتضى الظاهر أن يكون التعبير: (هُوَ الصَّمَد) لكن بلاغة القرآن جاء فيها استعمال الاسم العلم الظاهر بدل الضمير، لتوكيد وتمكين إسناد الصفات في السورة إلى الله عز وجل⁽⁵⁵⁾. لم يقل هو الصمد لزيادة التمكن. في وضع المظهر موضع المضممر لزيادة التمكن. ولذلك أظهر الاسم بعد أن تقدم مظهرها وكان حقه أن يكون الثاني مضمراً لتقدم ذكره مظهرها لكن إظهاره أكد في التعظيم والتفخيم»⁽⁵⁷⁾ وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فقد جاءت الثانية تأكيداً للأولى، لكونها «كلام أكد به كلام آخر هو في معناه وليس شيئاً سواه»⁽⁵⁸⁾ والمعنى: «قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستهزئين: إن ربي الذي أعبد، والذي أدعوكم لعبادته هو واحد أحد لا شريك له، ولا شبيه له ولا نظير، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهو جل وعلا واحد أحد»⁽⁵⁹⁾ وقد انفصلت الجملتان لتلازمهما في المعنى فالفرد الصمد تنزل منزلة الواحد الأحد لتأكيد معنى التعظيم والتفخيم⁽⁶⁰⁾، و«لترسخ صفة التوحيد في النفس»⁽⁶¹⁾. فالعدول إليه عن المضممر إلى المظهر لزيادة التمكن، أي: جعل المسند إليه متمكناً عند السامع؛ لأن في الإظهار من التفخيم والتعظيم ما ليس في الضمير، والمقام الذي يقتضي التمكن هو كون الغرض من الخطاب تعظيم المسند إليه⁽⁶²⁾. وقال الجرجاني: «فقال أبو يعقوب: أما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكشيف فذكرت هناك أن لهذا الذي ذكر من أن للتصريح عملاً لا يكون مثل ذلك العمل للكتابة كان لإعادة اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾»⁽⁶³⁾ وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾⁽⁶⁴⁾ عمل لولاها لم يكن⁽⁶⁵⁾. وقال أبو موسى، محمد محمد: «وهناك ضرب من وضع الظاهر موضع المضممر يراد به مع هذه الخصوصية تقرير المظهر، وتمكينه في القلوب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، قال ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ بعد ذكر لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ أَحَدُ﴾ وأثر المظهر على الضمير؛ لأن لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ أَحَدُ﴾ بمدلوله الكريم وقعاً عظيماً في القلوب، والمراد تمكين الألوهية، وإشاعة هيمنتها في الضمائر»⁽⁶⁶⁾، وخذ المصحف واقرأ فيه من أي موضع تشاء تجد هذا الأسلوب، وكأنه أصل من أصول البلاغة القرآنية، تجد أسماء الله الحسنى، وخصوصاً هذا الاسم الأعظم يقع هذا

الموقع في كثير من الجمل القرآنية لينساب نورها الغامر في القلوب، وتشيع مدلولاتها فتمكن من النفوس زيادة تمكن، وتتقرر في السرائر أحسن قرار، وبذلك تترى مهابة الحق وحده في الأمة التي يربيهها القرآن، فلا يكن في صدرها خشية إلا لله وللحق⁽⁶⁷⁾. وقال أيضاً: «وقد أدرك البلاغيون وحي الكلمة، وعملها بما يثيره لفظها من شئون فيالنفس لا يستطيعها الضمير العائد عليها، فأشاروا إلى أن الكناية — يعنون بها الضمير — التعويض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكشيف، فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه هذه الإشارة تحضره في النفس إلا أن قدرا كبيرا ممن التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظا بها، ولا يستطيع الضمير حملها نيابة عنه؛ لأنها تتولد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه، وارتباطاته المختلفة جدا الاختلاف، والتي اكتسبها في قصته الطويلة مع الكلمات، والأحداث والمواقف»⁽⁶⁸⁾. وقال الجرجاني: «أَنَّ للتَّصْرِيحَ عَمَلًا لَا يَكُونُ مِثْلُ ذَلِكَ الْعَمَلِ لِلْكِنَايَةِ كَانَ لِإِعَادَةِ اللَّفْظِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾⁽⁶⁹⁾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾⁽⁷⁰⁾ مِنَ الْحُسْنِ وَبِالْبَهْجَةِ وَمِنْ الْفَخَامَةِ وَالتَّوْبَلِ مَا لَا يَخْفَى مَوْضِعُهُ عَلَى بَصِيرٍ. وَكَانَ لَوْ تَرَكَ فِيهِ الْإِظْهَارُ إِلَى الْإِضْمَارِ فَقِيلَ: وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِهِ نَزَلَ. وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ هُوَ الصَّمَدُ لَعِدِمَتِ الَّذِي أَنْتَ وَاجِدُهُ الْآنَ»⁽⁷¹⁾

2 — قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾⁽⁷²⁾ الشاهد: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ وَضِعَ الاسم الظاهر ﴿الْحَقُّ﴾ الثاني موضع الضمير، وكان مقتضى الظاهر أن يكون التعبير ﴿وبه نزل﴾ فما السر فيالعدول من المضمير إلى المظهر؟ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ في الجار ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه متعلق بـ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ والباء سببية، أي: أنزلنا بسبب الحق⁽⁷³⁾، وقال العكبري: «فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾، أَيُّ: وَبِسَبَبِ إِقَامَةِ الْحَقِّ؛ فَتَكُونُ الْبَاءُ مُتَعَلِّقَةً بِـ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾»⁽⁷⁴⁾. والثاني: أنه حال من مفعول ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، أي: ومع الحق. أو فيه الحق⁽⁷⁵⁾. والثالث: أنه حال من فاعله، أي: ملتبس بالحق⁽⁷⁶⁾، وقال العكبري: «وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْفَاعِلِ، أَيُّ: أَنْزَلْنَاهُ وَمَعَنَا الْحَقُّ»⁽⁷⁷⁾، كقولك: (ركب الأمير بسيفه)، أي: مع سيفه⁽⁷⁸⁾. وعلى هذين الوجهين يتعلّق بمحذوف، وهناك آراء أخرى في عود الضمير ينظر في مظاهره. والضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ الظاهر عَوْدُهُ لِلْقُرْآنِ: إمَّا الْمَلْفُوظُ بِهِ فِي قَوْلِهِ قَبْلَ ذَلِكَ: ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾⁽⁷⁹⁾، ويكون ذلك جَرِيًّا عَلَى قَاعِدَةِ أُسَالِيبِ كَلَامِهِمْ، وهو أَنْ يَسْتَطِرِدَّ الْمُتَكَلِّمُ فِي ذِكْرِ شَيْءٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ كَلَامُهُ أَوَّلًا، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى كَلَامِهِ الْأَوَّلِ⁽⁸⁰⁾. وإمَّا لِلْقُرْآنِ غَيْرِ الْمَلْفُوظِ أَوَّلًا؛ لِدَلَالَةِ الْحَالِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁽⁸¹⁾، وضمائر الغيبة عائدة إلى القرآن المعروف من المقام⁽⁸²⁾.

قوله: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ فيه الوجهان الأولان دون الثالث لعدم ضمير آخر غير ضمير القرآن⁽⁸³⁾. وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنها للتأكيد، وذلك أنه يُقال: أنزلته فنزل، وأنزلته فلا ينزل، فجيء بقوله: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ دَفْعًا لِهَذَا الْوَهْمِ. وقيل: ليست للتأكيد، والمغايرة تُحْصَلُ بِالتَّغَايُرِ بَيْنَ الْحَقِّينِ، فَالْحَقُّ الْأَوَّلُ التَّوْحِيدُ.

والثاني: الوعد والوعيد والأمر والنهي⁽⁸⁴⁾، وقال الزمخشري: «وما أُنزلنا القرآنَ إلا بالحكمةِ المقتضية لإنزاله، وما نَزَلَ إلا ملتبساً بالحق والحكمةِ لاشتماله على الهداية إلى كل خير، أو ما أُنزلناه من السماء إلا بالحقِّ محفوظاً بالرُّصدِ من الملائكةِ، وما نَزَلَ على الرسول إلا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين»⁽⁸⁵⁾. وقال ابن عاشور في قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾: «وقد وصف القرآن بصفتين عظيمتين كل واحدة منهما تحتوي على ثناء عظيم وتنبية للتدبر فيهما. وقد ذكر فعل النزول مرتين، وذكر له في كل مرة متعلق متمثل اللفظ لكنه مختلف المعنى، فعلق إنزال الله إياه بأنه بالحق فكان معنى الحق الثابت الذي لا ريب فيه ولا كذب، فهو كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾⁽⁸⁶⁾، وهو رد لتكذيب المشركين أن يكون القرآن وحياً من عند الله، وعلق نزول القرآن، أي بلوغه للناس بأنه بالحق فكان معنى الحق الثاني مقابل الباطل، أي: مشتملاً على الحق الذي به قوام صلاح الناس وفوزهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾⁽⁸⁷⁾، والباء في الموضعين للمصاحبة لأنه مشتمل على الحق والهدى، والمصاحبة تشبه الظرفية. ولولا اختلاف معنى الباءين في الآية لكان قوله: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ مجرد تأكيد لقوله: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ لأنه إذا أنزل بالحق نزل به ولا ينبغي المصير إليه ما لم يتعين. وتقدير المجرور في الموضعين على عامله للقصر رداً على المنكرين الذين ادعوا أنه أساطير الأولين أو سحر مبین أو نحو ذلك⁽⁸⁸⁾. فالكناية والتعريض لا يعملان في القول عمل الإيضاح والكشف، ولذلك كانوا يكررون أسماء الأجناس والأعلام كثيراً ولا سيما إذا قصدوا التفخيم⁽⁸⁹⁾ وعلى ذلك ورد قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾⁽⁹⁰⁾، وقال الجرجاني: «أَنَّ لِلتَّصْرِيحِ عَمَلًا لَا يَكُونُ مِثْلُ ذَلِكَ الْعَمَلِ لِلْكُنْيَةِ كَانَ لِإِعَادَةِ اللَّفْظِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾⁽⁹¹⁾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾⁽⁹²⁾ من الحُسْنِ والبَهْجَةِ وَمِنْ الْفَخَامَةِ والتَّبَلُّ ما لَا يَخْفَى مَوْضِعُهُ عَلَى بَصِيرٍ. وكان لو تُرِكَ فيه الإظهارُ إلى الإضمار فقليل: وبالحق أنزلناه وبه نزل. وقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ هُوَ الصَّمَدُ لَعِدِمَتْ الذي أَنْتَ وَاجِدُهُ الْآنَ»⁽⁹³⁾

قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾؛ فإنه من الواضح أنه لو قيل: (وبه نزل) لكان الضمير عائداً على (الحق) ومؤدياً معناه من حيث الدلالة النحوية، أو الدلالة المنطقية، ولكن يبقى لكلمة الحق من القدرة على إثارة قدر كبير من الخواطر لا ينهض الضمير بشيء منها⁽⁹⁴⁾، ولذا فإنه لو ترك الإظهار وعدل عنه إلى الإضمار كما يقتضي السياق فقال: (وبالحق أنزلناه وبه نزل)، لم يكن فيه من الفخمية ما فيه الآن ويسمي (الذكر أو التصريح)⁽⁹⁵⁾.

النوع الثاني: العدول عن المضمرة إلى المظهر لقصد التعظيم والإجلال، أو لقصد تعظيم الشيء، وبيان ارتفاع منزلته:

1 — قال تعالى: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾⁽⁹⁶⁾.

الشاهد: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ لقد تباينت مواقف معرّبي القرآن الكريم حول وجه نصب قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ إلى ثلاثة آراء:

الرأي الأول:

ذهب أكثر معرّبي القرآن الكريم إلى أنه انتصب عطفًا على (الصلاة)، في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ ومعناه: أقم صلاة الصبح، عبّر عن الصلاة بالقراءة، وهي أحد أركانها⁽⁹⁷⁾. ذهب إلى ذلك الفراء، والطبري، والزجاج، والفخر الرازي، وأبو حيان، والشوكاني⁽⁹⁸⁾، وهو أول وجهين ذكرهما أبو البقاء العكبري، والألوسي، وأول أوجه ذكرها السمين الحلبي⁽⁹⁹⁾.

والرأي الثاني:

إلى أنه انتصب على إضمار فعلغير أنهم تباينوا في تقديره، ذهب إلى ذلك مكي القيس، والتقدير عنده: «واقرأوا قرآن الفجر»⁽¹⁰⁰⁾، وهو ثاني وجهين ذكرهما أبو البركات الأنباري، والتقدير عنده: كالتقدير السابق نفسه، وهو ثالث أوجه ذكرها السمين الحلبي والتقدير: «آثر قرآن أو كثر قرآن أو الزم قرآن الفجر»⁽¹⁰¹⁾.

الرأي الثالث:

إلى أنه انتصب على الإغراء، ومعناه: عليك قرآن الفجر، أي: الزمه، وإلى ذلك ذهب الأخفش قال: «﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، أي: عليك قرآن الفجر»⁽¹⁰²⁾، وهو ثاني وجهين ذكرهما أبو البقاء، والتقدير عنده: «عليك قرآن الفجر أو الزم»⁽¹⁰³⁾، وهو ثاني أوجه ذكرها السمين⁽¹⁰⁴⁾. والأصول تأتي هذا؛ لأن أسماء الأفعال لا تعمل مضمرة والأجود الوقف على ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾؛ لأنّه معطوف على (الصلاة) أي: أقم الصلاة وقرآن الفجر، أي: صلاة الفجر⁽¹⁰⁵⁾. ثم قال السمين معقبًا على ذلك: «وأصول البصريين تأتي هذا؛ لأن أسماء الأفعال لا تعمل مضمرة»⁽¹⁰⁶⁾. فيظهر من خلال هذه العرض أنّ الشيخ أحمد الأشموني قد وافق مذهب البصريين، وهو أولى بالقبول، وذلك لضعف اسم الفعل، وبعده عن التصرف، ويضاف إلى ذلك إمكان تقدير فعل بدلاً من تقدير اسم فعل، ومن ثم فلا داعي إلى العدول عن الأصل إلى الفرع. (واللام) في قوله تعالى: ﴿لِذَلِكِ الشَّمْسُ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ لام التوقيت. وهي بمعنى (عند)، والذلوک: من أحوال الشمس.

فورد بمعنى زوال الشمس عن وسط قوس فرضي في طريق مسيرها اليومي.

وورد بمعنى: ميل الشمس عن مقدار ثلاثة أرباع القوس وهو وقت العصر.

وورد بمعنى غروبها. فصار لفظ الذلوک مشتركاً في المعاني الثلاثة.

والغسق: الظلمة، وهي انقطاع بقايا شعاع الشمس حين يماثل سواد أفق الغروب سواد بقية الأفق وهو وقت غيبوبة الشفق. وذلك وقت العشاء، ويسمى العتمة، أي: الظلمة⁽¹⁰⁷⁾. وقال الشريف الرضي: في قوله سبحانه ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذَلِكِ الشَّمْسُ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ وهذه استعارة؛ لأنّ الدالك: المائل في كلامهم، فكانه سبحانه أمر بإقامة الصلاة عند ميل الشمس. فقليل عند ميلها للزوال، وقيل عند ميلها للغرب. والشمس على الحقيقة لا تميل عن موضعها ولا تزول عن مركزها، وإنما تعلو أو تنخفض، وترتفع بارتفاع الفلك وانخفاضه، وسيه وحركاته⁽¹⁰⁸⁾. وقد جمعت الآية أوقاتاً أربعة، فالذلوک يجمع ثلاثة أوقات باستعمال المشترك في معانيه. والقريضة واضحة. فمن

الدلوك إلى الغسق نجد صلاة الفجر ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء، وهذه أربعة فروض، وبقي الفرض الخامس وهو الفجر⁽¹⁰⁹⁾، وقال فيه الحق: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ وجملة: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ استئناف بياني لوجه تخصيص صلاة الصبح باسم القرآن بأن صلاة الفجر مشهودة، أي: محضورة، تَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ⁽¹¹⁰⁾. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ فقد حصل الإظهار في مقام الإضمار، ولو قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَشْهُودًا﴾؛ لأوهم عود الضمير إلى (الفجر) ففياظهار الاسم في مقام الإضمار إبانة لمزيد الاهتمام والعناية به⁽¹¹¹⁾، ولقصد التعظيم والإجلال، وقصد تعظيم الشيء وبيان ارتفاع منزلته.

2 — قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽¹¹²⁾

فقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ يجوز في هذه الجملة الاستئناف — وهو الظاهر — ويجوز أن تكون حالا من الفاعل في ﴿وَاتَّقُوا﴾⁽¹¹³⁾. قال أبو البقاء: «تقديره: واتقوا الله مضموناً لكم التعليم أو الهداية، ويجوز أن تكون حالا مقدّرة»⁽¹¹⁴⁾. وقال السمين: «قلت: وفي هذين الوجهين نظر لأن المضارع المثبت لا تباشره واو الحال، فإن ورد ما ظاهره ذلك يؤوّل، لكن لا ضرورة تدعو إليه ههنا»⁽¹¹⁵⁾.

فقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ جملتان مستقلتان طلبية وهي ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الامر بالتقوى، وخبرية وهي قوله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾، أي: والله يعلمكم ما تتقون، وليست جواباً للأمر بالتقوى، ولو أريد بها الجزاء لآتي بها مجزومة مجردة عن الواو فكان يقول: (واتقوا الله يعلمكم)، أو (إن تتقوه يعلمكم) كما قال: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾⁽¹¹⁶⁾، فوقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أمر بالتقوى لأنها ملاك الخير، وبها يكون ترك الفسوق⁽¹¹⁷⁾، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ تذكير بنعمة الإسلام، الذي أخرجهم من الجهالة إلى العلم بالشريعة، ونظام العام، وهو أكبر العلوم وأنفعها، ووعد بدوام ذلك لأنه جيء به بالمضارع، وفي عطفه على الأمر بالتقوى إيماء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم»⁽¹¹⁸⁾.

تعلق العلم بالتقوى:

ويف تعلق العلم بالتقوى خلاف بين أهل العلم:

الغريق الأول:

التلازم بين العلم والتقوى: ذهب بعض أهل العلم — تعلق العلم بالتقوى — إلى التلازم بين العلم والتقوى: تلازماً شرطياً، بمعنى: أن العلم متعلق بالتقوى، فمتى حدثت التقوى حدث العلم وترتب عليها⁽¹¹⁹⁾ اعتماداً على قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾، يقول القرطبي: «إن الآية وعد من الله بأن من اتقاه علمه، أي: يجعل في قلبه نوراً يفهم به ما يلقى إليه»⁽¹²⁰⁾. ويقول الصابوني: «العلم نوعان: كسبي ووهبي.

أما الأول: فيكون تحصيله بالاجتهاد والمثابرة والمذاكرة .

وأما الثاني: فطريقه التقوى، والعمل الصالح ، كما قال الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ

اللَّهُ ۖ وَهَذَا الْعِلْمُ يُسَمَّى الْعِلْمُ اللَّدْنِي: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾⁽¹²¹⁾ وهو العلم النافع الذي يهبه الله تعالى لمن يشاء من عباده المتقين⁽¹²²⁾، وعليه أشار الإمام الشافعي بقوله⁽¹²³⁾:
شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حِفْظي ** فأرشدني إلى تركِ المعاصي
وأخبرني بأن العلمَ نـــــــــــــــــــــورٌ ** ونورُ اللَّهِ لا يُهْدَى لِعَاصِي

الغريق الثاني:

لا تلازم بين العلم والتقوى: ذهب الكثيرون من أهل العلم هنا: إلى أنه لا تلازم بين العلم والتقوى: أي: لا ارتباط بين هذا وهذا؛ لأنه لو كان العلم أثر للتقوى لكانت مجزومة (واتقوا الله يعلمكم الله) لأنه يكون بجواب الأمر، كما في قوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا رُسُلَهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوا﴾⁽¹²⁴⁾ وهو معروف في النحو. فلذا يخطئ الكثيرون حين يستدلون بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ على أن التقوى مؤثرة في تحصيل العلم. وهذا الاستدلال ليس بصحيح لأن قوله جل وعلا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ هذا عطف، عطف ﴿يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ على التقوى، فليس العلم مرتباً في الآية على التقوى. ويعلق الزركشي — رحمه الله — مخالفاً هذا الرأي، قائلاً: «وأما قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ فظن بعض الناس إن التقوى سبب التعليم، والمحققون على منع ذلك؛ لأنه لم يربط الفعل الثاني بالأول ربط الجزاء بالشرط، فلم يقل: (واتقوا الله يعلمكم) ولا قال (فيعلمكم الله)؛ وإنما اتى بواو العطف، وليس فيه ما يقتضي أن الأول سبب للثاني، وإنما غاية الاقتتان والتلازم، كما يقال: (زني وازورك) و(سلم علينا ونسلم عليك) ونحوه مما يقتضي اقتران الفعلين والتعارض من الطرفين، كما لو قال عبد لسيدة: (اعتقني ولك علي الف) أو قالت المرأة لزوجها: (طلقني ولك الف) فان ذلك بمنزلة قولها: (بالف، اوعلى الف) وحينئذ فيكون متى علم الله العلم النافع اقترن به التقوى بحسب ذلك»⁽¹²⁵⁾ ونظير الآية قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾⁽¹²⁶⁾. ولا أظن أن هناك خلافاً على العلم اللدني، لقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾⁽¹²⁷⁾. فالعلم الوهبي علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة في الأثر: «من علم بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»⁽¹²⁸⁾ هذا وإن كان العلم الوهبي لا يختلف عليه أحد إلا أن سياق الآية في شأن تعليم المسلمين الضوابط الحافظة للديون، ولا علاقة لها بالعلم اللدني⁽¹²⁹⁾. ولعل من أقحم هذا الأمر نظر إلى ورود قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ عقب قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وهذا بعيد — كما أرى. وهذا وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ثلاث جمل جاءت في ختام الآية، والواو في الجملة الأولى استئنافية؛ لختتم التكاليف السابقة بالبواعث والمحرضات على قبول ما سبق، والامتنال له؛ ذلك لأن التكاليف السابقة فيها من الثقل ما فيها، والنفوس حين يثقل عليها العبء تحتاج إلى ما ينشطها، فذكرتها الآية بتقوى الله تعالى؛ لأنها ملاك الخير، وبها يكون ترك الفسوق والتقدير استئنافاً؛ لبيان فخامة هذه التنبيهات يرشدكم الله إلى مثل هذه المارشاد لإصلاح ذات بينكم؛ لأنه عز وجل محيط بكل شيء عالم ما في البر والبحر وما تخفي النفوس والصدور⁽¹³⁰⁾.

أما تكرار وإظهار اسم الجلالة في الجمل الثلاث ، فلقصده التنويه لكل جملة؛ حتى تكون مستقلة الدلالة، غير محتاجة إلى غيرها المشتمل على مُعاد ضميرها، حتى إذا استمع السامع لكل واحدة منها حصل له علم مستقل ، وقد لا يسمع إحداها فلا يضره ذلك في آخرها⁽¹³¹⁾، ونظير هذا الإظهار قول الحماسي⁽¹³²⁾:

اللَّوْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ وَاللَّوْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا
وَاللَّوْمُ دَاءٌ لَوْ بَرٍ يُفْتَلُونَ بِهِ ** لَا يُفْتَلُونَ بِدَاءٍ غَيْرِهِ أَبَدًا

فإنه لما قصد التشنيع بالقبيلة، ومن ولدها، وما ولدته أظهر (اللؤم) في الجمل الثلاث، ولما كانت الجملة الرابعة كالتأكيد للثالثة لم يظهر اسم اللؤم بها⁽¹³³⁾.

هذا وإظهار اسم الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ وتكراره نكت بلاغية:

1. التهويل والتكرير: وللتكرير مواقع يحسن فيها، ومواقع لا يحسن فيها⁽¹³⁴⁾. قال الجرجاني في دلائل الإعجاز: «في الخاتمة التي ذكر فيها أن الذوق قد يدرك أشياء لا يهتدى لأسبابها⁽¹³⁵⁾.

2. التربية والمهابة: فتكرير اسم ﴿اللَّهُ﴾ في ختام الآية حيث قيل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إنما قصد به تربية المهابة في القلوب الدائنة ، والمدينة ، والشاهدة ، والكاتبة، وكذا تربية المهابة في قلوب المجتمع الإسلامي لاحتياط في هذه المعاملات، ويسمع لأوامر، وبطيع⁽¹³⁶⁾.

3. قصد تقوية داعية المأمور: فتكرير وإظهار اسم ﴿اللَّهُ﴾ في ختام الآية قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تقوية لداعية المأمور فقد أظهر الاسم العظيم الاعظم ﴿اللَّهُ﴾. قاله الزركشي⁽¹³⁷⁾.

4. التعظيم والتعظيم: فتكرير وإظهار اسم ﴿اللَّهُ﴾ في ختام الآية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لما ختم سبحانه وتعالى آيات المعاملات بصفة العلم بعد الأمر بالتقوى في غاية المناسبة لما يفعله المتعاملون من الحيل التي يجتلب كل منهم بها الحظ لنفسه، والترغيب في امتثال أمرهم، فقد أظهر الاسم العظيم تعظيماً وتعميماً، لإحاطته الكاملة بكل شيء⁽¹³⁸⁾، عالم ما في البر والبحر وما تخفي النفوس والصدور⁽¹³⁹⁾. ويعلق البقاعي قائلاً: «وأظهر الاسم الشريف ﴿اللَّهُ﴾ هنا وفي الذي بعده تعظيماً للمقام وتعميماً للتعليم»⁽¹⁴⁰⁾، فوضع الاسم الظاهر موضع الضمير في ختام الآية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لقصد التعظيم والإجلال، وقصد تعظيم الشيء وبيان ارتفاع منزلته.

النوع الثالث: العدول عن المضمير إلى المظهر لإزالة اللبس حيث يوهم الضمير أنه غير الأول: وفي النصوص الآتية وُضع الاسم الظاهر موضع الضمير، لإزالة اللبس حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد، إذ استعمال الضمير يفضي إليه:

1— قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾⁽¹⁴¹⁾

الشاهد: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ وفي قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ في الضمير المنصوب قولان:

أحدهما: أنه عائدٌ على الصَّواع في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾⁽¹⁴²⁾؛ لأنَّ فيه التذكير والتأنيث. وقيل: بل لأنه حَمِلَ على معنى (السقاية)⁽¹⁴³⁾ في قوله: ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾⁽¹⁴⁴⁾، وقال أبو عبيد: «يؤنث الصَّواع من حيث يُسَمَّى (سقاية)، ويُذكَر من حيث هو صَّواع»⁽¹⁴⁵⁾. وقال الزمخشري: «فإن قلت: لم ذكر ضمير الصَّواع مرَّات ثم أنثه؟ قلت: قالوا: رجع بالتأنيث على (السقاية) أو أنث الصَّواع لأنه يذكر ويؤنث، ولعلَّ يوسف كان يسميه (سقاية) وأبو عبيدة (صواعاً) فقد وقع فيما يتصل به من الكلام (سقاية)، وفيما يتصل بهم منه (صواعاً)»⁽¹⁴⁶⁾، وهذا الأخير حَسَنٌ. والثاني: أن الضميرَ عائدٌ على السَّرِقة. قال السمين: «وفيه نظر؛ لأنَّ السَّرِقة لا تُستخرج، إلا بهجاز»⁽¹⁴⁷⁾، وقال ابن عاشور: «وتأنيث ضمير ﴿اسْتَخْرَجَهَا﴾ للسقاية وهذا التأنيث في تمام الرشاقة إذ كانت الحقيقة أنها سقاية جعلت صواعاً. فهو كرد العجز على الصدر»⁽¹⁴⁸⁾.

قال العكبري: «فإن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ: ﴿فَاسْتَخْرَجَهَا مِنْهُ﴾، لَتَقْدُمُ ذِكْرُهُ؟ قِيلَ: لَمْ يُصَرِّحْ بِتَفْتِيْشِ وَعَاءِ أَخِيهِ حَتَّى يُعَيِّدَ ذِكْرَهُ مُضْمَرًا، فَأَظْهَرَ لِيَكُونَ ذَلِكَ تَنْبِيْهًا عَلَى الْمَحْدُوفِ، فَتَقْدِيرُهُ: ثُمَّ قَتَشَ وَعَاءَ أَخِيهِ، فَاسْتَخْرَجَهَا مِنْهُ»⁽¹⁴⁹⁾. وقال أبو السعود: «﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ لم يقل (منه) على رجع الضمير إلى (الوعاء) أو (من وعائه) على رجعته إلى (أخيه) قصداً إلى زيادة كشف وبيان»⁽¹⁵⁰⁾. وقال السيوطي: «﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ لم يقل منه؟ لئلا يتوهم عود الضمير إلى الأخ، فيصير كأنه مباشر يطلب خروجها — فلو قال: ثم استخرجها (من وعائه) لأوهم أن أخاه استخرجها من وعاء نفسه — وليس كذلك، لأنَّ في المباشرة من الأذى الذي تأباه النفوس الأبية، فأعيد لفظ الظاهر، لنفي هذا»⁽¹⁵¹⁾، ولم يقل (من وعائه) لئلا يتوهم عود الضمير إلى يوسف لأنَّ العائد عليه ضمير ﴿اسْتَخْرَجَهَا﴾⁽¹⁵²⁾ وفي هذا الصدد يقول الزركشي عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾: «وإنما حسن إظهار الوعاء مع أن الأصل فاستخرجها منه لتقدم ذكره لأنه لو قيل ذلك لأوهم عود الضمير على الأخ فيصير كأن الأخ مباشر لطلب خروج الوعاء وليس كذلك لما في المباشر من الأذى الذي تأباه النفوس الأبية فأعيد لفظ الظاهر لنفي هذا»⁽¹⁵³⁾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾. قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ. قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ. قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ. قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ. قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ. فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ⁽¹⁵⁴⁾؛ فإنا الآية الكريمة في قوله: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ تشير إلى أمر يثير الاستغراب، إذ لا يعلم المتلقي أي حاجة تلك دفعت يوسف (عليه السلام) إلى إصاق تهمة السرقة بأخيه؟!

إذاً ثمة أمر كان قد أضمره يوسف (عليه السلام) بوضع الصواع في رحل أخيه ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ ، وليس في نص الآية الكريمة ما يشير إلى أن يوسف (عليه السلام) كان قد أخبر أخاه بما ينوي فعله، حتى لا يفاجأ أو يفزع من وجود الصواع في رحله أمام مرأى من إخوته، وبعض خاصة يوسف (عليه السلام)⁽¹⁵⁵⁾، لقد أراد يوسف (عليه السلام) بفعله هذا أن يستبقي أخاه بنيامين فاحتال لذلك ودبر، لكن ما فعله يوسف (عليه السلام) لم يكن في حقيقته إلا وحياءً من الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾⁽¹⁵⁶⁾. وَقَدْ ذَكَرُوا فِي تَسْمِيَّتِهِمْ سَارِقِينَ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَعَارِضِ وَأَنَّ يُوسُفَ نَوَى بِذَلِكَ أَنَّهُمْ سَرَقُوهُ مِنْ أَبِيهِ حَيْثُ غَيَّبُوهُ عَنْهُ بِالْحِيلَةِ الَّتِي احْتَالُوا عَلَيْهِ، وَخَانُوهُ فِيهِ، وَالْخَائِنُ يُسَمَّى سَارِقًا، وَهُوَ مِنَ الْكَلَامِ الْمَرْمُوزِ، وَلِهَذَا يُسَمَّى خَوْنَهُ الدَّوَاوِينَ لُصُوصًا⁽¹⁵⁷⁾، قاله ابن قيم الجوزية.

الثاني: أَنَّ الْمُتَنَادِي هُوَ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَمْرِ يُوسُفَ. قال ابن قيم الجوزية: «قَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ: «أَمَرَ يُوسُفَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَنْ يَجْعَلَ الصُّوَاعَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُ الْمُؤَكِّلِينَ وَقَدْ فَقَدُوهُ وَلَمْ يَدْرِ مَنْ أَخَذَهُ: ﴿أَيُّهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ عَلَى ظَنِّ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ كَذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ أَمْرِ يُوسُفَ لَهُمْ بِذَلِكَ، أَوْ لَعَلَّ يُوسُفَ قَدْ قَالَ لِلْمُنَادِي: هَوَلَاءِ سَرَقُوا، وَعَسَى أَنَّهُمْ سَرَقُوهُ مِنْ أَبِيهِ، وَالْمُنَادِي فَهَمَّ سَرَقَةَ الصُّوَاعِ فَصَدَقَ يُوسُفَ فِي قَوْلِهِ، وَصَدَقَ الْمُتَنَادِي، وَتَأَمَّلْ حَذْفَ الْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ لِيَصِحَّ أَنْ يُضْمَنَ سَرَقَتَهُمْ لِيُوسُفَ فَيَتِمَّ التَّعْرِيسُ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ صِدْقًا، وَذَكَرَ الْمَفْعُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَفَقْدُ صُوعِ الْمَلِكِ﴾ وَهُوَ صَادِقٌ فِي ذَلِكَ، فَصَدَقَ فِي الْجُمْلَتَيْنِ مَعًا تَعْرِيسًا وَتَضَرِيحًا، وَتَأَمَّلْ قَوْلَ يُوسُفَ: ﴿مَعَادَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا مَنْ سَرَقَ، وَهُوَ أَحْصَرُ لَفْظًا، تَحَرُّيًا لِلصَّدَقِ، فَإِنَّ الْأَخَّ لَمْ يَكُنْ سَارِقًا بَوَاحٍ، وَكَانَ الْمَتَاعُ عِنْدَهُ حَقًّا؛ فَالْكَلَامُ مِنْ أَحْسَنِ الْمَعَارِضِ وَأَصْدَقِهَا»⁽¹⁵⁸⁾. وقال القرطبي عند قوله تعالى ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ في قوله: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾⁽¹⁵⁹⁾.

2 — قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾⁽¹⁶⁰⁾.

الشاهد: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ مَا السِّرُّ فِي وَضْعِ الْاسْمِ الظَّاهِرِ (نَفْسِهَا) مَوْضِعَ الضَّمِيرِ؟

قال الزجاج: «وفي قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ فـ(يوم) منصوب على وجهين:

أحدهما: أن يكون المعنى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. يَوْمَ تَأْتِي﴾ يعني: أنه تعالى يعطي الرحمة والغفران في ذلك اليوم الذي يعظم احتياج الإنسان فيه إلى الرحمة والغفران»⁽¹⁶¹⁾، فهذا المعنى هو مقتضى الإتيان بهذا الظرف⁽¹⁶²⁾. وقال السمين: «ولا يلزم من ذلك تقييد رحمته بالظرف؛ لأنه إذا رجم في هذا اليوم فرحمته في غيره أَوْلَى وَأَحْرَى»⁽¹⁶³⁾. والثاني: أن يكون التقدير: وذكرهم أو اذكر يوم كذا وكذا؛ لأن معنى القرآن العظيمة والإنذار والتذكير⁽¹⁶⁴⁾.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ لقائل أن يقول: النفس هي نفس واحدة ، وليس لها نفس أخرى فما معنى قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾؟، والجواب: إن النفس قد يراد بها بدن الإنسان، وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته.

فالنفس الأولى. هي مجموع ذات الإنسان وحقيقته (الجثة والبدن).
والنفس الثانية: هي بدنه فهي عينها وذاتها أيضاً، (عينها وذاتها)⁽¹⁶⁵⁾، وقال الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى النفس المضافة إلى النفس؟

قلت: يقال لعين الشيء وذاته نفسه، وفي نقيضه غيره، والنفس الجملة كما هي ، فالنفس الأولى هي الجملة ، والثانية عينها وذاتها»⁽¹⁶⁶⁾.

وقال ابن عاشور: «والنفس الأول: بمعنى الذات والشخص كقوله: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾⁽¹⁶⁷⁾، والنفس الثانية ما به الشخص شخص، فالاختلاف بينهما بالاعتبار»⁽¹⁶⁸⁾، كقول أعرابي قتل أخوه ابناً له فقدم إليه ليقناده منه فألقى السيف من يده وهو يقول⁽¹⁶⁹⁾:

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَةً ** إِخْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ
كِلَاهُمَا خَلْفَ مَنْ فَقَدْ صَاحِبِهِ ** هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

وذلك أن العرب يستشعرون للإنسان جملة مركبة من جسد وروح فيسمونها النفس، أي الذات وهي ما يعبر عنه المتكلم بضمير (أنا) ويستشعرون للإنسان قوة باطنية بها إدراكه ويسمونها نفساً أيضاً. ومنه أخذ علماء المنطق اسم النفس الناطقة⁽¹⁷⁰⁾.

والمعنى: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته ، ولا يهمه شأن غيره. قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾⁽¹⁷¹⁾، ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه، كقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾⁽¹⁷²⁾، وكقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا﴾⁽¹⁷³⁾، ونحو ذلك من الاعتذارات⁽¹⁷⁴⁾.

ففاعل المجادلة وما هو في قوة مفعوله شيء واحد. وهذا قريب من نوع وقوع الفاعل والمفعول شيئاً واحداً في أفعال الظن والدعاء، بكثرة مثل: (أراني فاعلاً كذا) وقولهم: (عدمتهني وفقدتهني)، وبقلة في غير ذلك مع الأفعال⁽¹⁷⁵⁾، نحو قول امرئ القيس⁽¹⁷⁶⁾:

قَدْ بَتَّ أَحْرُسُنِي وَخَدِي وَيَمْنَعُنِي ** صَوْتُ السَّبَاعِ بِهِ يَضْبَحُنْ وَالْهَامُ

وقال أبوحيان: «فإن قلت: لِمَ لَمْ يَتَعَدَّ الفعل إلى الضمير، لا إلى لفظ النفس؟ قلت: منع من ذلك أَنَّ الفعل إذا لم يكن من باب ظن، وفقد لا يتعدى فعل ظاهر فاعله، ولا مضمرة إلى مضمرة المتصل، فلذلك لم يجيء التركيب تجادل عنها، ولذلك لا يجوز: ضربتها هند ولا هند ضربتها، وإنما تقول: ضربت نفسها هند، وضربت هند نفسها، ما عملت أي: جزاء ما عملت من إحسان أو إساءة، وأنت الفعل في قوله تأتي، والضمير في قوله تجادل وفي قوله عن نفسه، وفي قوله توفي، وفي في قوله عملت، حملاً على معنى (كل) راعى معنى (كل) فَأَنْتَ الضمائر»⁽¹⁷⁷⁾، ولو روعي اللفظ لذكر⁽¹⁷⁸⁾، وقال الشاعر⁽¹⁷⁹⁾:

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٌ ** فَتَرَكَنَ كُلُّ قَرَارَةٍ كَالدَّرْهَمِ.

إلا أنه زاد في البيت الجمع على المعنى (فأنت على المعنى)⁽¹⁸⁰⁾، وقال الزركشي: «وقوله

تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُل نَفْسٍ تَجَادَلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ فلم يقل (عنها) لئلا يتحد الضميران فاعلاً ومفعولاً مع أنَّ المظهر السابق لفظ (النفس) فهذا أبلغ من (ضرب زيد نفسه)⁽¹⁸¹⁾، فهذا مما وضع الاسم الظاهر موضع الضمير لإرادة إزالة اللبس حيث يوهم الضمير أنه غير الأول: أو يوهم أنه غير المراد.

النوع الرابع: العدول عن المضمّر إلى المظهر للتنبيه على علة الحكم:

وفي النصوص الآتية وُضع الاسم الظاهر موضع الضمير، للتنبيه على علة الحكم: حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد:

2— قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ مِمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾⁽¹⁸²⁾

الشاهد: قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لم يأت النص: (فأنزل عليهم) إنما جاء: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ للتنبيه على أن الحكم عليهم بإنزال الرجز (العذاب) كان بسبب ظلمهم الذي ظهرت آثاره بأعمال الفسق الذي كانوا يفسقونه⁽¹⁸³⁾.

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ لا بُدَّ في هذا الكلام من تأويل، إذ الدَّم إنما يتوجّه عليهم إذا بدّلوا القول الذي قيل لهم، لا إذا بدّلوا قولاً غيره، فقيل: تقديره: فبدّل الذين ظلموا بالذي قيل لهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾⁽¹⁸⁴⁾ (بدّل) يتعدّى لمفعول واحد بنفسه وإلى آخر الباء، والذي مَعَ الْبَاءِ هُوَ الْمَتْرُوكُ، وَالَّذِي بَعْدَ بَاءٍ هُوَ الْمَوْجُودُ⁽¹⁸⁵⁾، كقول أبي النجم⁽¹⁸⁶⁾:
وَبَدَّلْتُ وَالْدَّهْرُ دُوَّ تَبَدَّلَ هَيْفًا دَبُورًا بِالصَّبَا وَالشَّمَالِ .

فَالَّذِي انْقَطَعَ عَنْهَا (الصَّبَا)، وَالَّذِي صَارَ لَهَا الْهَيْفُ، فَكَذَلِكَ هَاهُنَا. قاله أبو البقاء.
وقال: «وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿بَدَّلَ﴾ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى تَقْدِيرُهُ: فَقَالَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ؛ لِأَنَّ تَبْدِيلَ الْقَوْلِ كَانَ يَقُولُ»⁽¹⁸⁷⁾. فنصب ﴿غَيْرَ﴾ عنده في هذين القولين على النعت لهم ﴿قَوْلًا﴾

وقيل: تقديره: فبدّل الذين ظلموا قولاً بغير الذي، فَحَذَفَ الحَرْفَ فانصب، ومعنى التبديل التغيير كأنه قيل: فغيروا قولاً بغيره، أي: جاؤوا بقول آخر مكان القول الذي أمروا به، كما يُروى في القصة أنهم قالوا بَدَلْ ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾⁽¹⁸⁸⁾ حِطَّةً فِي شُعَيْرَةٍ⁽¹⁸⁹⁾. والإبدال والاستبدال والتبديل جعل الشيء مكان آخر، وقد يُقال التبديل: التغيير وإن لم يأت ببدله، وهناك فرق بين بَدَلْ وأَبَدَلْ، وهو أن بَدَلْ بمعنى غيّر من غير إزالة العين، وأَبَدَلْ تقتضي إزالة العين، إلا أنه قُري: قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ بالوجهين، وهذا يُقتضي اتحادهما معنى لا اختلافهما⁽¹⁹⁰⁾، وتبديل القول بتبديل جميع ما قاله الله لهم وما حدثهم الناس عن حال القرية، وللإشارة إلى جميع هذا بني فعل ﴿قِيلَ﴾ إلى المجهول إيجازاً. فقولاً مفعول أول لبذل، و﴿غَيْرَ الَّذِي قِيلَ﴾ مفعول ثان لأن بدل يتعدى إلى مفعولين من باب كسى أي مما دل على عكس معنى كسى مثل سلبه ثوبه⁽¹⁹¹⁾.

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ظاهره انقسامهم إلى ظالمين وغير ظالمين، وأن الظالمين

هم الذين بدلوا ، فإن كان كلهم بدلوا ، كان ذلك من وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بالعلة، وكأنه قيل: فبدّلوا، لكنه أظهره تنبيهاً على علة التبديل، وهو الظلم، أي: لولا ظلمهم ما بدلوا، والمبدّل به محذوف تقديره: فبدّل الذين ظلموا بقولهم (حطة)، ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ ولما كان محذوفاً ناسب إضافة غير إلى الاسم الظاهر بعدها. والذي قيل لهم هو أن يقولوا (حطة)، فلو لم يحذف لكان وجه الكلام فبدّل الذين ظلموا بقولهم حطة قولاً غيره، لكنه لما حذف أظهر مضافاً إليه غير ليدل على أن المحذوف هو هذا المظهر، وهو الذي قيل لهم⁽¹⁹²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ ففيه وجهان:

الأول: أن في تكرير: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ زيادة في تقبيح حالهم وإشعاراً وإيداناً بعلية إنزال الرجز عليهم لظلمهم⁽¹⁹³⁾.

والثاني: أن الرجز هو العذاب والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي: العقوبة، وكذا قوله تعالى: ﴿لَئِنْ كَشَفْتُ عَنَّْا الرِّجْزَ﴾⁽¹⁹⁴⁾، وذكر الزجاج أن الرجز والرجس معناهما واحد وهو العذاب⁽¹⁹⁵⁾.

فكثيراً ما يتحدث القرآن عن العذاب الذي نزل بالأقوام السابقة لكفرهم وضلالهم، ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ مِمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾⁽¹⁹⁶⁾ الآية الكريمة في سياق جملة خبرية تشير إلى العذاب الذي حل على بني إسرائيل بعد عصيانهم وتكبرهم واستهزائهم بأمر الله سبحانه في دخول القرية، فتحوّلت هذه السماء الجميلة إلى مصدر من مصادر العذاب لتنفيذ أمر الله تعالى «والرجز في لغة العرب يعني العذاب، وقيل إنه الطاعون»⁽¹⁹⁷⁾. وقد وصف التعبير القرآني ذلك العذاب وصفا عاما غير محدد ليدع للخيال الإنساني فرصة التأمل والتخيل الذي يمد الصور بالغنى والاتساع، ويدفق فيها الحياة ويكسبها خلودا. وقوله: ﴿عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فأعادهم بذكرهم أولاً، ولم يقل (عليهم) تنبيهاً على أن ظلمهم سبب في عقابهم، وهو من إيقاع الظاهر موقع المضمر لهذا الغرض. وإيقاع الظاهر موقع المضمر على ضربين: ضرب يقع بعد تمام الكلام كهذه الآية، وقول الخنساء⁽¹⁹⁸⁾:

تَعَرَّقَنِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَرًّا* وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ قَرْعًا وَعَمْرًا
أي: أصابتنني نوابثه جُمع⁽¹⁹⁹⁾.

وضرب يقع في كلام واحد نحو قوله: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾⁽²⁰⁰⁾ وقول الآخر⁽²⁰¹⁾:

ليت الغراب غداة ينعب دأباً* كان الغراب مقطّع الأوداج
وقد جمع عدي بن زيد بين المعنيين⁽²⁰²⁾، وكقول الشاعر⁽²⁰³⁾:

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ* بَعْضُ الْمَوْتِ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

أي: لا يسبقه شيء، فأعاد الإظهار فأظهر في موضع الاضمار⁽²⁰⁴⁾. فتكرار الموت في عجز البيت أوسع من تكراره في صدره لأننا إذا عللنا هذا إنما نقول أعاد الظاهر موضع المضمر لما أراد من تعظيم الموت وتهويل امره فإذا عللها مكرره في عجزه عللناه بهذا وبأن الكلام جملتان⁽²⁰⁵⁾.

قال ابن عاشور: «وإنما جاء بالظاهر في موضع المضمر في قوله: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

رَجَزًا ولم يقل عليهم لئلا يتوهم أن الرجز عم جميع بني إسرائيل وبذلك تنطبق الآية على ما ذكرته التوراة تمام الانطباق»⁽²⁰⁶⁾. وقال الزركشي: «ولم يقل (عليهم)؛ لأنه ليس في الضمير ما في قوله: ﴿الذين ظلموا﴾ من ذكر الظلم المستحق به العذاب»⁽²⁰⁷⁾، وفي هذه الآية ضرب من البلاغة دقيق المسلك وهو وضع الظاهر موضع المضمرة ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ للتنبيه على علة الحكم: عليهم بأنزال العذاب كان بسبب ظلمهم الذي ظهرت آثاره بأعمال الفسق الذي كانوا يفسقونه.

الخاتمة:

- وفي الختام يمكنني أن أبرز أهم النتائج المتعلقة بالبحث، وهي على النحو الآتي:
1. أثبت البحث أن الخروج عن المألوف في الاستخدام اللغوي لم يكن أمراً عفوياً في التعبير اللغوي بل تختبئ وراءه دلالات مقصودة ولمسات فنية مقبولة.
 2. تتفق كتب النحو، والصرف، والبلاغة، والأسلوب في توظيف مصطلح (العدول) لمعنى ترك الشيء والانصراف عنه إلى غيره.
 3. لم يكن العدول في التركيب اللغوي أمراً عفوياً، بل يلجأ إليه مستخدم اللغة لتحقيق أغراض مقصودة مثل التوكيد، والتخفيف، والمبالغة، والتعظيم، والتحقيق، وتجديد نشاط السامع، وكسر الرتابة عنه.
 4. يعد العدول ظاهرة لغوية أصيلة ضاربة بجذورها في عمق التراث اللغوي، تناوله الدرس البلاغي، والأسلوبي تحت مسميات مختلفة مثل الالتفات، والاتساع، والتجاوز، والانزياح، والانحراف وغيرها.
 5. أثبت البحث أن للخروج على خلاف الأصل أسباباً منها: قصد التعظيم والإجلال، أو قصد تعظيم الشيء، وبيان ارتفاع منزلته، وزيادة التقرير والتمكين، وإرادة إزالة اللبس حيث يوهم الضمير أنه غير الأول، ولتنبيه على علة الحكم، وقصد الإهانة والتحقيق، وقصد العموم، وقصد الخصوص، ومراعاة التجنيس... الخ.

التوصيات:

سبق أن ذكرت في مقدمة البحث أن هذه الدراسة لم تكن شاملة (العدول عن الاسم المضمرة إلى الاسم المظهر في (البرهان في علوم القرآن — للزركشي): كله، إذ هي ورقة بحثية محكومة بصفحات محددة، ولذا اكتفيت فقط بإيراد نماذج لهذه الظاهرة الفاشية في (البرهان في علوم القرآن)، وأؤكد هنا — في خاتمة البحث — أن هذه الدراسة لم تؤصد الباب أمام الدارسين، والباحثين، فهناك شواهد عديدة لهذه الظاهرة — مثل: العدول عن المضمرة إلى المظهر لقصد الإهانة والتحقيق، وقصد العموم، وقصد الخصوص، ومراعاة التجنيس، وزيادة التقدير، وتعظيم الأمر، والتوصل بالظاهر إلى الوصف — في (البرهان في علوم القرآن — للزركشي) وغيره، ولذا أوصي الباحثين بإجراء مزيد من الدراسات في ظاهرة (العدول عن المضمرة إلى المظهر) مع ضرورة ربطها بالعلوم والمعارف الإنسانية.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- (1) أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، صديق بن حسن القنوجي (ت: 1307هـ). تحقيق/ عبد الجبار زكار. دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
- (2) الإتيقان في علوم القرآن: تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (911هـ). المحقق/ محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب، من دون طبعة، 1394هـ — 1974م .
- (3) أسلوبية الرواية (مدخل نظري): لحמיד الحمداي. منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989م.
- (4) إسفار الفصح تأليف: أبي سهل محمد بن علي بن محمد الهروي النحوي(ت: 433هـ).دراسة وتحقيق/ أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1420هـ
- (5) الأصول (دراسة أبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، د/تمام حسان. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1988م.
- (6) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة/ علي بن نايف الشحود..
- (7) إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم (ت: 751هـ) — مطبعة المنيرية — القاهرة.
- (8) الإيضاح في علوم البلاغة: لأبي عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني. تحقيق: السيد الجميلي، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الرابعة ، 1998م.
- (9) البحر المحيط: المؤلف/ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. تحقيق/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، و(آخرون) دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان — بيروت، 1422هـ
- (10) بحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت: 885هـ).أطروحة تقدم بها/ عزيز سليم علي القرشي، إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، 1424هـ — 2004م.
- (11) البرهان في علوم القرآن بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (٧٩٤هـ) تحقيق/ محمد أبي الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٨م.
- (12) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن الميداني. مكة المكرمة ، 1414هـ.
- (13) البلاغة والأسلوبية: د/ محمد عبد المطلب. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.
- (14) البلاغة العالية في آية المداينة: للدكتور/ سعيد جمعة. الأستاذ المساعد في جامعة الأزهر، فرع المنوفية.

- (15) بنية اللغة الشعرية: جان كوهين، ترجمة محمد العربي ومحمد العمري. دار توبقال، المغرب، الطبعة الأولى، 1986م.
- (61) بيان المعاني: المؤلف ملا حويش آل غازي عبد القادر. مطبعة الترقى، دمشق، 1382هـ.
- (17) البيان في روائع القرآن: الدكتور/ تمام حسان. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ضمن مشروع مكتبة الأسرة.
- (18) التبيان في إعراب القرآن: تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (616هـ). المحقق/ علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه. بدون تاريخ.
- (19) التبيان في آداب حملة القرآن: للإمام أبي زكرياء يحيى بن شرف النووي - الطبعة الثالثة، 1394هـ - 1974م.
- (20) التحرير والتنوير: المسمى (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ). الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.
- (21) تصحيح الفصح وشرحه: لابن درستويه، أبي محمد، عبد الله بن جعفر، (ت: 347هـ) تحقيق/ محمد بدوي المختون، مراجعة / رمضان عبد التواب، القاهرة، مطابع الأهرام، الطبعة الأولى، 1998م.
- (22) التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني. تحقيق/ إبراهيم الإياري. دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.
- (23) تفسير أبي السعود: المعروف بـ(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تأليف: محمد بن محمد العمادي أبي السعود. دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (24) تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن. دار الفكر، بيروت - لبنان 1399هـ - 1979م
- (25) تفسير الرازي: المسمى (مفاتيح الغيب) تأليف: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ.
- (26) تفسير الطبري: (جامع البيان في تأويل القرآن): تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب. تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ.
- (27) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): تأليف محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبي عبد الله. دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، 1405 هـ.
- (28) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): المؤلف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ). المحقق/ محمود حسن. دار الفكر، الطبعة الجديدة، 1414هـ - 1994م.
- (29) تفسير الباب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (880هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

- (30) تلخيص البيان في مجازات القرآن: للشريف الرضي، مطبعة المعارف، بغداد، من دون طبعة، 1375هـ (31) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: تأليف الدكتور/ محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر). الفجالة - القاهرة.
- (31) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني صالح مُلا عزيز، دار الزمان، دمشق، الطبعة الأولى 2010م.
- (32) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ضبط وتشكيل وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي . دار الفكر، بيروت — لبنان 1415هـ — 1995م.
- (33) الخصائص: تأليف أبي الفتح عثمان بن جني تحقيق/ محمد علي النجار. المكتبة العلمية — مصر، 1913م.
- (34) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أي موسى مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1400هـ — 1980م.
- (35) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسَّمين الحلبي. تحقيق الدكتور/ أحمد الخراط. دار القلم — دمشق، الطبعة الأولى، 1406هـ.
- (36) دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني، وعُلِّق عليه/ محمود شاكر. مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984م.
- (37) ديوان جرير. تحقيق/ مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م 0
- (38) ديوان الحماسة: لأبي تمام، (ت: 213هـ). تحقيق الدكتور/ عبد المنعم احمد صالح، دار الرشيد بغداد، الطبعة الأولى، 1980م .
- (39) ديوان الخنساء: دار الأندلس، بيروت — لبنان، 1388هـ — 1968م.
- (40) ديوان الشافعي: للإمام الشافعي، دار الجيل، بيروت، 1974م.
- (41) ديوان عنتر بن شداد. تحقيق/ محمد سعيد مولوي. رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار الكتب العلمية، 1954م .
- (42) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: تأليف محمود الألوسي أبي الفضل، دار إحياء التراث العربي — بيروت.
- (43) شرح قطر الندى وبل الصدى: لابن هشام الأنصاري، أي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام (761هـ). تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1383هـ — 1963م.
- (44) صفوة التفاسير. لمحمد علي الصابوني، مؤسسة مناهل الزمان، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، 1406هـ
- (45) العدول الصرفي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب/ هلال علي محمود الجحيشي، جامعة الموصل العراق، 2005م.
- (46) العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم، دراسة دلالية بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

- اعداد الطالب/ جلال عبدالله محمد يوسف حمادي، جامعة تعز، كلية الآداب، 1428هـ — 2007م.
- (47) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: تأليف محمد بن علي الشوكاني.
- (48) فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة، عبد الله صولة، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية (14) حزيان، المغرب، 1987م.
- (49) المقتضب: للمبرد أبي العباس محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥هـ). تحقيق/ عبدالخالق عزيمة. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية — القاهرة.
- (50) الكتاب: سيبويه: تأليف أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (180هـ). تحقيق وشرح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1430هـ.
- (51) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: تأليف: أبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث العربي — بيروت.
- (52) كتاب العين: تأليف الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي. دار الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ — 2002م.
- (53) الكليات: لأبي البقاء الكفوي، تحقيق الدكتور/ عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة الثانية، 1413هـ.
- (54) اللباب في علل البناء والإعراب: للعكبري. تحقيق/ غازي مختار طليمات، والدكتور/ عبد الإله نبهان. دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1416هـ.
- (55) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بـ(ابن الأثير) (ت: 637هـ). تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1358هـ — 1939م.
- (56) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تأليف أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية — لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ — 1993م.
- (57) المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، المعروف بـ(ابن سيده) (458هـ). تحقيق/ مصطفى السقا وزملائه، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1378هـ.
- (58) مشكل إعراب القرآن: لمكي القيسي. تحقيق الدكتور/ حاتم صالح الضامن. ط: مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية، 1405هـ — 1984م.
- (59) معاني القرآن للفرأء: تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفرأء (207هـ). تحقيق ومراجعة الأستاذ/ محمد علي النجار. الدار المصرية — القاهرة.
- (60) معاني القرآن وإعرابه: تأليف أبي إسحق إبراهيم بن السري بن سهل (الزجاج). شرح وتحقيق الدكتور/ عبد الجليل عبده شلبي. دار الحديث — القاهرة، 1424هـ — 2004م.

- (61) معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي (911هـ)، تصحيح/ أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت — لبنان، 1988م.
- (62) مفتاح دار السعادة (ابن قيم الجوزية) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (63) مقاييس اللّغة: تأليف أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ). تحقيق وضبط/ عبد السلام محمّد هارون. مكتبة الخانجي. مصر، الطبعة الثانية، 1412هـ.
- (64) منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: للأشموني، على بن محمد: مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر. الثانية، 1393هـ.
- (65) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي. مكتبة ابن تيمية — القاهرة، الطبعة الأولى، 1389 هـ — 1969م.
- (66) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (911 هـ)، تحقيق/ عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1397هـ - 1977.

المصادر والمراجع:

- (1) مقاييس اللغة: تأليف أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (395هـ). تحقيق/عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثانية، 1412هـ مادة (عدل) 124/4.
- (2) كتاب العين: تأليف الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هندواوي. دار الكتب — بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ — 2002م مادة (ع د ل) 39/2.
- (3) التحرير والتنوير: المسمى (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (1393هـ). الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ 175/12.
- (4) سورة الانفطار، (7).
- (5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تأليف أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. تحقيق/عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية — لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ — 1993م 30/5.
- (6) سورة الشورى (15).
- (7) التحرير والتنوير 298/3.
- (8) سورة الأنعام ، (70)
- (9) 9 تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم): المؤلف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (774هـ). المحقق/ محمود حسن . دار الفكر، الطبعة الجديدة، 1414هـ — 1994م 78/3
- (10) سورة الأنعام ، (1)
- (11) سورة المائدة، (8).
- (12) العين (عدل) 39/2.
- (13) المحكم والمحيط الأعظم: لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، المعروف بـ (ابن سيده) (458هـ). تحقيق/ مصطفى السقا وزملائه، مكتبة مصطفى الباي الحلبي القاهرة، 1378هـ 14/2.
- (14) ينظر: تصحيح الفصح وشرحه/ 194، وإسفار الفصح 503/1.
- (15) الكتاب: سيبويه: تأليف أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (180هـ). تحقيق وشرح/ عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1430هـ 274/3.
- (16) المقتضب: للمبرد أبي العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ). تحقيق/ عبد الخالق عزيمة. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية — القاهرة. من دون طبعة، من دون تاريخ 378/3.
- (17) الخصائص: تأليف أبي الفتح عثمان بن جني. تحقيق/ محمد علي النجار. المكتبة العلمية — مصر، من دون طبعة، 1913م 18/3.
- (18) المثل السائر 145/7
- (19) فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة، عبد الله صولة، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية (14) حزيران، المغرب 1987م/79

- (20) البلاغة والأسلوبية: د/ محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984م/198
- (21) ينظر: بنية اللغة الشعرية: جان كوهين، ترجمة محمد العربي ومحمد العمري. دار توبقال، المغرب، الطبعة الأولى، 1986م/194، وأسلوبية الرواية (مدخل نظري): لحمد الحمداني. منشورات دراسات سيميائية أدبية لسانية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989م/24
- (22) التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني. تحقيق/ إبراهيم الإبياري. دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ/15.
- (23) اللباب في علل البناء والإعراب: للعكبري. تحقيق/ غازي مختار طليمات، والدكتور عبد الإله نبهان. دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1416هـ/502
- (24) شرح قطر الندي وبل الصدي: لابن هشام الأنصاري، أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام (761هـ). تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، 1383هـ — 1963م/307
- (25) العدول الصرفي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، رسالة دكتوراه مقدمة من الطالب / هلال علي محمود الجحيشي، جامعة الموصل العراق، 2005م/66
- (26) البيان في روائع القرآن: د/ تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ضمن مشروع مكتبة الأسرة 235/1
- (27) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لآبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بـ(ابن الأثير) (637هـ). تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1358هـ — 1939م/179-180
- (28) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ضبط وتشكيل وتصحيح: يوسف الشيخ محمد البقاعي. دار الفكر، بيروت — لبنان 1415هـ — 1995م/99/2.
- (29) سورة هود، (54).
- (30) المثل السائر 179/2 — 180
- (31) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. تحقيق/ يوسف الحمادي. مكتبة مصر، من دون طبعة، ومن دون تاريخ 14/1
- (32) المرجع السابق 88/1
- (33) العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم، دراسة دلالية بحث مقدم لنيل درجة الماجستير اعداد الطالب/ جلال عبدالله محمد يوسف حمادي، جامعة تعز، كلية الآداب، 1428هـ — 2007م/67
- (34) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني صالح مُلا عزيز، دار الزمان، دمشق، الطبعة الأولى 2010م/373.
- (35) سورة الكهف، (1)

- (36) التحرير والتنوير 334/6
- (37) البلاغة والأسلوبية 7.
- (38) الأصول (دراسة أبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، د/تمام حسان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- 1988م / 127
- (39) البرهان في علوم القرآن 484/2.
- (40) سورة العنكبوت، (17).
- (41) سورة الشورى، (40).
- (42) سورة النصر، (3).
- (43) ينظر: البرهان في علوم القرآن 484/2 — 496
- (44) سورة الإخلاص، (1، 2).
- (45) الكشف 822/4، والدر المصون 11/15
- (46) التفسير الوسيط للقرآن الكريم 15 / 540 ، والكشف 822/4، والدر المصون 11/15
- (47) مشكل إعراب القرآن 582/2
- (48) الدر المصون 11/15
- (49) الكشف 822/4، والدر المصون 11/15
- (50) التفسير الوسيط للقرآن الكريم 540/15
- (51) الكشف 822/4
- (52) مشكل إعراب القرآن 582/2، والدر المصون 13/15
- (53) البحر المحيط 8/ 527
- (54) الدر المصون 13/15، ومشكل إعراب القرآن 582/2
- (55) الإيضاح في علوم البلاغة 97/2.
- (56) الإيضاح في علوم البلاغة 97/2.
- (57) مشكل إعراب القرآن 582/2
- (58) دلائل الإعجاز 175/
- (59) صفوة التفاسير 620/3،
- (60) مشكل إعراب القرآن 852/2
- (61) أبجد العلوم 443/2
- (62) الإيضاح في علوم البلاغة 97/2.
- (63) سورة الإسراء، (105).
- (64) سورة الإخلاص، (1، 2).
- (65) دلائل الإعجاز / 402، والتحرير والتنوير 582/2، والبرهان في علوم القرآن 478/2
- (66) خصائص التراكيب / 213

- (67) البرهان في علوم القرآن 478/2 ، والتحرير والتنوير المعروف 582/2، وخصائص التراكيب 213/
- (68) خصائص التراكيب/213
- (69) سورة الإسراء، (105).
- (70) سورة الإخلاص، (1، 2).
- (71) دلائل الإعجاز/128
- (72) سورة الإسراء، (105).
- (73) الدر المصون 3/10.
- (74) التبيان في إعراب القرآن 825/2.
- (75) التبيان في إعراب القرآن 825/2، وتفسير الرازي 418/21.
- (76) الدر المصون 3/10.
- (77) التبيان في إعراب القرآن 825/2.
- (78) تفسير القرطبي 320/10.
- (79) سورة الإسراء، (88).
- (80) الدر المصون 3/10
- (81) سورة الدخان، (3).
- (82) التحرير والتنوير المعروف 180/14.
- (83) تفسير القرطبي 320/10، والتبيان في إعراب القرآن 825/2.
- (84) الدر المصون 4/10
- (85) الكشف 153/2، والدر المصون 4/10.
- (86) سورة البقرة، (2).
- (87) سورة الإسراء، (81)
- (88) التحرير والتنوير 180/14.
- (89) ينظر: كتاب الكليات/1631، 1217.
- (90) سورة الإخلاص، (1، 2).
- (91) سورة الإسراء، (105).
- (92) سورة الإخلاص، (1، 2).
- (93) دلائل الإعجاز/128
- (94) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني/214.
- (95) إعراب القرآن وبيانه 518/5.
- (96) سورة الإسراء، الآية: (78).
- (97) الدر المصون 386/9
- (98) ينظر: معاني القرآن الفراء 129/2، وجامع البيان في تأويل القرآن 520/17، ومعاني القرآن

- وإعرابه 255/3، وتفسير الفخر الرازي 389/21، والبحر المحيط 67/6، وفتح القدير 258/2
- (99) التبيان في إعراب القرآن 820/2، وروح المعاني 125/15، والدر المصون 386/9
- (100) تفسير أبي السعود 189/5
- (101) الدر المصون 386/9
- (102) معاني القرآن 72/2.
- (103) التبيان في إعراب القرآن 820/2
- (104) الدر المصون 386/9
- (105) منار الهدى في بيان الوقف والإبتداء 255/1.
- (106) الدر المصون 386/9
- (107) التحرير والتنوير 145/14
- (108) تلخيص البيان في مجازات القرآن المؤلف 202/2.
- (109) التحرير والتنوير 145/14
- (110) روح المعاني 125/15،
- (111) تفسير أبي السعود 189/5
- (112) سورة البقرة، (282).
- (113) الدر المصون 203/3
- (114) التبيان في إعراب القرآن 233/1
- (115) الدر المصون 203/3
- (116) مفتاح دار السعادة - ابن قيم الجوزية 172/
- (117) البحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي 223/
- (118) التحرير والتنوير 582/2
- (119) صفوة التفاسير للصابوني 164 /1
- (120) تفسير القرطبي 406/3.
- (121) سورة الكهف، (65)
- (122) البلاغة العالية في آية المداينة 109، و صفوة التفاسير للصابوني 164/1
- (123) لبيتان: للإمام الشافعي، في ديوانه 10/
- (124) سورة نوح، (3).
- (125) البرهان في علوم القرآن 143/4
- (126) سورة هود، (123).
- (127) سورة الكهف، (65)
- (128) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي 181/2، والتبيان في آداب حملة القرآن 20 /1
- (129) البلاغة العالية في آية المداينة 110/

- (130) البحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي/223
- (131) التحرير والتنوير/582،و البلاغة العالية في آية المداينة/107.
- (132) البيتان:للحكم بن مقداد ويدعى ابن زهرة وزهرة أمه ويعرف بالحكم الأصم الفزاري، وهو في ديوان الحماسة.
- (133) التحرير والتنوير/582/2
- (134) البلاغة العالية في آية المداينة/108
- (135) دلائل الإعجاز/400، والتحرير والتنوير/582/2
- (136) البلاغة العالية في آية المداينة/109
- (137) البرهان في علوم القرآن/491/2.
- (138) البحث الدلالي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي/223
- (139) التحرير والتنوير/582/2.
- (140) نظم الدرر/160/4.
- (141) سورة يوسف، (76).
- (142) سورة يوسف، (72).
- (143) الدر المصون/54/9.
- (144) سورة يوسف، (71).
- (145) الدر المصون/54/9.
- (146) الكشف/463/2.
- (147) الدر المصون/54/9.
- (148) التحرير والتنوير/99/12.
- (149) التبيان في إعراب القرآن/740/2.
- (150) تفسير أبي السعود/296/4.
- (151) الإِتقان في علوم القرآن/195/2،ومعترك الأقران/283/1.
- (152) ومعترك الأقران/283/1، والإِتقان في علوم القرآن/195/2
- (153) البرهان في علوم القرآن/249/2.
- (154) سورة يوسف، (70 — 76)
- (155) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/206.
- (156) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/206.
- (157) إعلام الموقعين عن رب العالمين/248/3.
- (158) إعلام الموقعين عن رب العالمين/248/3.
- (159) تفسير القرطبي/236/9.
- (160) سورة النحل، (111).

- (161) 161معاني القرآن وإعرابه221/2، والكشاف 595/2، والبحر المحيط523/5، وتفسير الفخر الرازي278/20
- (162) 162التحرير والتنوير243/13.
- (163) 163 الدر المصون9/303، وتفسير الباب لابن عادل155/12.
- (164) 164معاني القرآن وإعرابه221/2، والكشاف 595/2، والبحر المحيط523/5، وتفسير الفخر الرازي278/20.
- (165) البحر المحيط523/5، والكشاف 595/2، وتفسير الفخر الرازي278/20
- (166) الكشاف595/2
- (167) سورة المائدة،(45).
- (168) التحرير والتنوير243/13، وبيان المعاني254/4.
- (169) 169حماسة أبي تمام، شرح لأبريزي100/1، اللغة: التأساء: ما يؤتسى به من الحزن، والتعزية: حسن التصبر. فهو يطلب التأسي وحسن التصبر.
- (170) التحرير والتنوير243/13
- (171) سورة عبس، (37)
- (172) سورة الأنعام،(23).
- (173) سورة الأعراف،(38).
- (174) تفسير الخازن4/118، والكشاف595/2، والبحر المحيط523/5، وتفسير الرازي278/20
- (175) التحرير والتنوير243/13
- (176) البيت: لأمراء القيس، وهو في: مغني اللبيب/195، والتحرير والتنوير243/13
- (177) البحر المحيط523/5، والدر المصون(9/303).
- (178) الدر المصون(9/303)، والبحر المحيط523/5 .
- (179) البيت: لعنترة في ديوانه196
- (180) الدر المصون(9/303)، والبحر المحيط523/5، وتفسير الباب لابن عادل155/12.
- (181) برهان في علوم القرآن 489/2.
- (182) سورة البقرة ، (59)
- (183) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها/546، والإتقان في علوم القرآن246/2.
- (184) الدر المصون1/283
- (185) الدر المصون1/283، والتبيان في إعراب القرآن67/1
- (186) البيت: لأبي النجم، وهو في: الخصائص 1/336، وهمع الهوامع2:216، وخزانة الأدب2/245.
- (187) التبيان في إعراب القرآن67/1
- (188) سورة البقرة،(58)
- (189) تفسير الرازي3/522، والبحر المحيط1/216

- (190) الدر المصون 283/1.
- (191) التحرير والتنوير 499 / 1.
- (192) البحر المحيط 216/1
- (193) تفسير الرازي 522/3، والبحر المحيط 216/1
- (194) سورة الأعراف، (134)
- (195) البحر المحيط 216/1
- (196) سورة البقرة ، (59)
- (197) ينظر: جامع البيان 242/1، والجامع لأحكام القرآن 287/1، والمححر الوجيز 113/6.
- (198) البيت: للخنساء في ديوانها/ 64
- (199) الدر المصون 284/1
- (200) سورة الحاقة، (1، 2)
- (201) البيت: لجريير في ديوانه/ 58.
- (202) الدر المصون 284/1
- (203) البيت: سَوادُ بن عديّ، وهو في: كتاب سيبويه 13/1، و خزانة الأدب 245/2، والدر المصون 284/1
- (204) كتاب سيبويه 13/1
- (205) التبيان في إعراب القرآن 502/2.
- (206) التحرير والتنوير 499 / 1.
- (207) البرهان في علوم القرآن 493/2